الفصل الثاني
محبة الله

إن حب الله جَلَّجَلَالُهُ هو رأس العبادات وأصلها، وقاعدة الطاعات وأساسها، وحقيقة القربات وروحها، وهو حياة القلوب ولذة النفوس وقرة العيون ونعيم الأرواح وجنة الدنيا، ولا سبيل إلى حلاوة الإيمان ولذته إلا بالحب لله، ولن يحيا قلب أبدًا بدون ذلكم الحب إنه أسمى وأعلى وأمتع وأرفع، وألذ وأهنأ ما يؤتاه إنسان في هذه الحياة، إنه أصل العبودية وسر السعادة الأبدية، ومفتاح كل خير وبر وطاعة، وما خلق القلب أصلًا إلا ليحب ربه وفاطره ومولاه، ويتعبد له بكل طاعة ويرجوه ويخشاه، وذلكم هو النعيم الحاضر الذي يأخذ بنواصي المحبين إلى جنات النعيم، وليس الحب كلمة تقال بل حقيقة تعاش، وتبعة ومسئولية تتحمل، وبذلًا صادقًا يقدم، وتضحية حقيقية تبرهن عليه وتثبته، ولا يحتاج المحب أن يثبت حبه بالكلمات؛ لأن أعماله تنطق بحبه لربه وتترجم ما كان في القلب منه فتعالوا نعيش هذه اللحظات مع الحب لعلنا نزداد حبًا لربنا، وقربًا إليه جَلَّجَلَالُهُ.

معنى الحب

حب الله لا يعرف بل يعاش ويستشعر، ومن وجده في قلبه فقد عرفه، ولا يعرفه إلا قلب حي صارت لذته ومتعته وأنسه بطاعة الله جَلَّجَلَالُهُ، وقد ذكر بعض أهل العلم جملة من التعريفات للمحبة وهي تكاد تكون أوصافًا لها، ولكن لعل في ذكرها قربًا من معناها وإحساسًا بمعنى قريب من حقيقتها فمن ذلك قيل:

المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء.

وقيل: المحبة هي موافقة الحبيب في المشهد والمغيب.

وقيل: استقلال الكثير منك لمحبوبك واستكثار القليل.

obeikandi.com

وقيل: استيلاء المحبوب على قلب المحب.

وقيل: هي الغيرة للمحبوب أن تنتقص حرمته والغيرة على القلب أن يكون فيه سواه.

وقيل: هي حفظ الحدود فليس بصادق من ادعى محبة من لم يحفظ حدوده.

وقيل: قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك.

وقيل: ذكر المحبوب على عدد الأنفاس كما قيل:

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

وقيل: عمى القلب عن رؤية غير المحبوب، وصممه عن سماع العذل فيه.

وقيل: ميلك إلى المحبوب بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرًا وجهرًا، ثم علمك بتقصيرك في حبه.

وقيل: هي أن يكون المحبوب أقرب إلى المحب من روحه[1]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن أجمع ما قيل فيها ما ذكره أبو بكر الكتاني، قال: جرت مسألة في المحبة بمكة أعزها الله تعالى -أيام الموسم- فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سنًا فقالوا: هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال: عبدٌ ذاهبٌ عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله.

فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد[2].

---

(١) منتقاة من «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» ص [٢٦-٢٧] ط. دار الفجر.

(٢) «تهذيب مدارج السالكين» ص [٥١٣] ط. المكتبة القيمة.

منزلة المحبة

يقول ابن القيم: وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون؛ وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروَّح العابدون، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام.

وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال، التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدًا واصليها، وتبوؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها، وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها دائمًا إلى الحبيب، وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، وقد قضى -الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة- أن المرء مع من أحب فيا لها من نعمة على المحبين سابغة[1].

الله جَلَّ جَلَالُهُ يحب ويُحب

من عقيدة أهل السنة أن ربنا تبارك وتعالى يحب عباده المؤمنين ويحبه عباده، بل إن ذلك هو أصل العبادة وأساس العبودية لله سبحانه قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، تأمل كيف وصف الله عَزَّوَجَلَّ هؤلاء القوم بأنه يحبهم ويحبونه وكذلك يحب الله عَزَّوَجَلَّ من يتقربون إليه باتباع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، من

(١) المصدر السابق ص [٥٠٩].

كان صادقًا في حبه لربه فليتبع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ينل حب الله له، ومن ذلك قول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**»(١).

وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن خصالًا كريمة وصفات نبيلة يحب الله أهلها ويحب من اتصف بها، فالله جَلَّجَلَالُهُ يحب من عباده الصابرين الذين يصبرون ابتغاء وجهه كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، والله جَلَّجَلَالُهُ يحب المحسنين من عباده ويحب المتقين ويحب التوابين ويحب المتطهرين، ويحب المقسطين، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص، فمن حقق شيئًا من هذه الصفات نال من حب الله جَلَّجَلَالُهُ بقدر ما حققه منها، فالله يُحبُ وتلك صفة ثابتة لربنا ومعنى الحب معلوم والكيفية في حق الله لا نعلمها والإيمان بتلك الصفة واجب والسؤال عن الكيفية بدعة، وصرف الصفة عن ظاهرها انحراف وافتراء وضلال، فهيا أخي تقرب إلى ربك يحبك، أقبل إليه يصطفيك، وتكن من أهل طاعته الذين يبتغون رضاه، ويتحببون إليه حتى يفوزوا بحبه لهم ويالها والله من كرامة!!

إن محبة الله لون آخر من الحب غير الذي يعرفه الناس في حبهم للشهوات، إن لها طعمًا وحلاوة ولذة لا توجد ولن توجد أبدًا في غيرها؛ لأن ذلك هو أصدق الحب وأصفاه، وأجمله وأبهاه، حينما يعمر به القلب فإنه يقدم روحه ويبذل دمه في رضا ربه ومولاه، حينما يمتلئ القلب بحب الله فإن ذلك يظهر في سمته وخلقه، يظهر في عبادته ومسارعته إليها، وشغفه بها وإقباله عليها، يبدو في تحمل المشاق واستعذاب العذاب واستحلاء المر ما دام في سبيل الله جَلَّجَلَالُهُ إننا نكثر الحديث عن حب الله لعل القلوب تقبل إليه وتؤثره وتختاره وتسعد به في العاجلة والآخرة، فاللهم إنا نتعرض لرحمتك

(١) رواه البخاري برقم [٣٠٠٩]، ومسلم برقم [٢٤٠٤].

obeikandl.com

ونسألك من فضلك وأنت ربنا أكرم من أن تردنا وأنت أرحم بنا من أن تحرمنا ذلك الفضل العظيم.

حب الله أصل الدين

العبادة التي خلق الله الخلق من أجلها إنما تبنى على أصلين الأول كمال الحب لله عَزَّوَجَلَّ والثاني هو تمام الذل وكماله لله جلَّ جلاله كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -عليه رحمة الله-: العبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته، فالمحبوب الذي لا يعظم ولا يُذل له لا يكون معبودًا، والمعظم الذي لا يُحب لا يكون معبودًا[١]، ولا يحب لذاته إلا الله، وكل محبة بعد ذلك ينبغي أن تكون تابعة لمحبة الله تعالى ونابعة منها، وكلما كانت المحبة لله في القلب أكمل كان الدين فيه أقوى وأرسخ يقول الشيخ: ثم إنه كما بين أن محبته أصل الدين فقد بين أن كمال الدين بكمالها ونقصه بنقصها[٢]، كذا قال: محبة الله،بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين[٣].

محبة الله على المؤمنين فرض، وكل ما يقربهم إلى الحبيب حبيب، وكما أن الأسماك في البحار لن تحيا إلا في المياه، وكما أن الكائنات التي في البر لن تحيا إلا في هواء فكذلك القلوب المؤمنة لن تحيا أبدًا إلا بحب ربها وخالقها وفاطرها ومولاها جَلَّجَلَالُهُ، ولقد توعد ربنا سبحانه بالعقاب والنكال لمن كان شيء أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله وحكم الله على من كان هذا حاله بالفسوق والضلال عياذًا بالله، تأمل هذه الآية الكريمة! قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٠٣) ط. العبيكان.
(٢) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٠٣) ط. العبيكان.
(٣) المصدر السابق (٥/ ١٩٨).

وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]، فليحذر أولئك المخذولون الذين تشتت قلوبهم في حب الشهوات وآثروها على حب الله ورسوله أولئك الذين جعلوا أنفسهم عرضة لعذاب الله وعقابه بإعراضهم عن عبادته وحبه واتباعهم أهواءهم وبعدهم عن صراط ربهم، ولو كانت عقولهم واعية وبصائرهم مبصرة؛ لعلموا أن الحب كل الحب لا يصرف إلا لله فهو الذي أنعم وهو الذي خلق ورزق، وهو الذي يرحم ويعافي وبيده ملكوت كل شيء، وما من نعم صغيرة أو كبيرة ظاهرة أو خفية إلا هي منه سبحانه فكيف صُدِفت هذه النفوس الجاهلة عن حبه؟! وكيف صرفت عن طاعته وعبادته والتقرب إليه، ولله در السِّعدي حين يقول في شرح معاني هذه الآية الكريمة: محبة الله ورسوله يتعين تقديمهما على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ ومثلهم الأمهات ﴿ وَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ في النسب والعشرة ﴿ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ﴾ أي: قراباتكم عمومًا ﴿ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾ أي: اكتسبتموها وتعبتم في تحصيلها خصها بالذكر لأنها أرغب عند أهلها، وصاحبها أشد حرصًا عليها ممن تأتيه الأموال من غير تعب ولا كد ﴿ وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾ أي: رخصها ونقصها وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب ﴿ وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ ﴾ من حسنها وزخرفتها وموافقتها لأهوائكم إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله، فأنتم فسقة ظلمة ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾ أي: انتظروا ما يحل بكم من العقاب، وحتى يأتي الله بأمره ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ أي: الخارجين عن طاعة الله المقدمين على محبة الله شيئًا من المذكورات وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله وعلى تقديمهما على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله وعلامة ذلك أنه إذا عرض عليه أمران: أحدهما يحبه الله ورسوله وليس لنفسه فيه هوى

والآخر تحبه نفسه وتشتهيه ولكن يفوت عليه محبوبًا لله ورسوله أو ينقصه، فإنه إن قَدم ما تهواه نفسه على ما يحبه الله دلَّ على أنه ظالم تارك لما يجب عليه[١].

وقال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأخبر أن من أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا فهذا في المحبة لا في الخلق والربوبية ثم قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ وفي تقدير الآية قولان:

أحدهما- ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله.

والثاني- ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ من محبة المشركين بالأنداد لله؛ فإن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها، والمحبة الخالصة أشد من المحبة المشتركة، والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى: ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ فإن فيها قولين: **أحدهما-** يحبونهم كما يحبون الله، فيكون قد أثبت لهم محبة الله ولكنها محبة يشركون فيها مع الله أندادًا.

والثاني- يحبون الله كما يحب المؤمنون الله ثم بين أن محبة المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرجح القول الأول.

ويقول: إنما ذُمُّوا بأن أشركوا بين الله، وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له، وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم وهم في النار يقولون لآلهتهم وأندادهم وهي محضرة معهم في العذاب: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ

(١) «تفسير السعدي» ص [٣٦٨] ط. دار السلام.

Obeikandl.com

﴿٩٧﴾ ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨]، ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم، وهذا أيضًا هو العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، أي: يعدلون به غيره في العبادة التي هي المحبة والتعظيم وهذا أصح القولين [(١)].

ثمرات المحبة

أي أخي، إن محبة الرحمن هي النعيم العاجل الذي يقود ولابد إلى النعيم المقيم في جنات عدن، ومن تحبب إلى الله وتعرض لما يحبه منه ربه ويرضاه، وأكثر من ذكره وطاعته وكف قلبه وجوارحه عما يسخطه؛ وجد لهذه المحبة ثمارًا طيبة، وانشراحًا في القلب ولذة تجدها النفس لا يمكن وصفها، ويكفي أن نقول: إن سعادة الدنيا والآخرة مرهونة بحب الله وعبادته سبحانه ومن الثمرات الكريمة التي يحصلها المحب لربه ما يلي:

أولًا - حصول حلاوة الإيمان في القلب:

قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»[(٢)]، وقوله ﷺ: «**وجد بهن حلاوة الإيمان**» الحلاوة هنا هي التي يعبر عنها بالذوق لما يحصل من لذة القلب ونعيمه وسروره وغذائه، وهي شيء محسوس يجده أهل الإيمان في قلوبهم[(٣)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئًا واشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٧-١٨) ط. دار الكتاب العربي.
(٢) رواه البخاري برقم [١٦]، ومسلم برقم [٤٣].
(٣) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» ص [٢٩٥] ط. الريان.

obeikandi.com

واللـذة والـسرور بذلك، واللذة أمر يحصـل عقيب إدراك الملائم الـذي هو المحبوب أو المشتهى[١].

ثانيًا- محبة الله لعبده:

الجزاء من جنس العمل، فمن امتلأ قلبه بحب الله، وتعبد له بما يحبه ويرضاه كانت الثمـرة العظيمـة أن يحبـه الله، ويا له من لفظ والله ما أحلاه أن يحبـك الله فكيف إذا تحقق لك معناه وصارت لذتك كل لذتك، وأنسك، كل أنسك وسعادتك كل سعادتك حينما تطيع لربك أمرًا وتتقرب إليه بطاعة قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الله تعالى: «**وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه**»[٢].

وفي الصحيحـين من حديث أم المؤمنين عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث رجـلًا على سرية وكان يقرأ لأصحابـه في صلاتهم فيختم بـ«قل هو الله أحد» فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**سلوه لأي شيءٍ يصنع ذلك**» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أخبروه أن الله يحبه**»[٣].

قال ابن دقيق العيد: يحتمل أن يكون سـبب محبة الله له محبته لهذه السـورة، ويحتمل أن يكون لما دلَّ عليه كلامه لأن محبته لذكر صفات الرب دالة على صحة اعتقاده[٤]، إن في

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٨٨) ط. العبيكان.

(٢) رواه البخاري برقم [٦٥٠٢].

(٣) رواه البخاري برقم [٧٣٧٥]، ومسلم برقم [٨١٣].

(٤) «فتح الباري» (١٣/ ٣٧٠) ط. الريان، ومن باب الأمانة أشير إلى أن الإمامين النووي وابن حجر عليهما رحمة الله قد نقلا في شرحهما لهذا الحديث قول المازري وغيره مقرين له ذلك بتأويله صفة المحبة بإرادة الثواب، وهذا مخالف لاعتقاد أهل السنة الذين يجرون نصوص الصفات على ظاهرها فنقول: المحبة معناها معلوم وكيفيتها مجهولة والسؤال عن الكيفية بدعة والإيمان بثبوت الصفة ومعناها واجب والله تعالى أعلم.

هذا الحديث دلالة واضحة على أن ر بنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى يحب من أحبه أو أحب صفاته وأسماءه ودينه وشرعه، وليس للمحب الصادق جزاء أبر وأوفى من محبة الله له.

ثالثا- القبول في الأرض:

إن ثمرة المحبة ظاهرة على المحبين وإن كتموها، وتتلألأ على قسمات وجوههم وإن أخفوها، وتتناثر كاللؤلؤ في حلو حديثهم وطيب سمتهم، وجميل وجليل أخلاقهم، وكل ذلك وغيره يستميل إليهم القلوب، ويجذب إليهم النفوس، ويستمتع جلساؤهم بالنظر إليهم والسماع منهم وعنهم، وتجد الناس من حولهم مجبولين على حبهم وقد ترى من أعدائهم من يغلبه لسانه وينطق بالثناء عليهم، ويستحيي من نفسه والناس من حوله أن يسيئ إليهم فيالذة الحياة بينهم!! ويالسعادة من انتسب إليهم وكان منهم!

وقد أخبر الله جَلَّ جَلَالُهُ في كتابه الكريم أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة فقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦].

قال مجاهد: يحبهم ويحببهم إلى خلقه.

قال قتادة: ذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم[(١)].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ويوضع له القبول في أهل الأرض**»[(٢)].

---

(١) «تفسير الطبري» (١٨/ ٢٦٢) ط. الرسالة.

(٢) رواه البخاري برقم [٧٤٨٥]، ومسلم برقم [٢٦٣٧].

رابعًا- النجاة من العذاب والفوز بجنات النعيم:

لا يعذب الله قلبًا أحبه، ولا يخذل الله عبدًا محبًا له أبدًا قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النِّسَاء:١٤٧]، وإذا كانت رحمة الله وسعت كل شيء، أفلا يكون المحبون له أولى الناس بها وأحق الخلق بنيلها؟! إن من كرامة الله لأهل محبته أن يحفظهم من كل مكروه ويؤمنهم من كل مخوف؛ لأنهم دائمًا يكونون في حصن ولايته والله حافظ لهم فلا يخافون ولا يحزنون وإن مسَّهم بلاء في الظاهر فقلوبهم متنعِّمة بقرب ربها منها، مطمئنة بذكره، متضرعة إليه، مستيقنة بثوابه قال ربي وأحق القول قول ربي: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يُونُس:٦٢-٦٤]، لا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة، ولا هم يحزنون على ما وراءهم من الدنيا، والبشرى في الدنيا الرؤيا الصالحة، والثناء الحسن والمودة في قلوب المؤمنين، وما يراه من لطف ربه به، وقيل: المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فُصِّلَت:٣٠-٣٢]، وأما بشراهم في الآخرة فكما قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأَنْبِيَاء:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحَدِيد:١٢][(١)].

(١) «المصباح المنير» [٦١٨-٦١٩]، و«تفسير السعدي» ص [٤١٢].

خامسًا- الشوق إلى لقاء الله:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك**»[(١)]، قال ابن القيم: والشوق أثر من آثار المحبة وحكم من أحكامها فإنه سفر القلب إلى المحبوب في كل حال، وقيل: هو اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، والمحبة أعلى منه لأن الشوق عنها يتولد وعلى قدرها يقوى ويضعف، قال يحيى بن معاذ: علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات[(٢)]، المحبة لله تغرس في القلب الشوق إلى لقائه والتلذذ بطاعته والقيام بين يديه، والشغف بعمل الصالحات وحضور القلب في كل عمل ابتغاء وجه الله به.

علامات محبة العبد لربه

لمحبة المؤمنين لربهم علامات تدل عليها، وتشير إليها، وتبرهن على وجودها في قلوبهم، فتعالوا نستعرض شيئًا منها لننظر أين نحن منها ومدى توفر تلك العلامات فينا لعلنا نفيق من غفلة جثمت على الصدور، ونوجه قلوبنا إلى تحقيق تلك العلامات وإيجادها في واقع أعمالنا وأعمارنا، ومن ذلك ما يلي:

أولًا- محبة ما يحبه الله:

برهان المحبة الصادقة أن تحب ما يحبه ربك، وأن تبغض ما يبغضه، وأن توالي أولياءه وأن تعادي أعداءه، وذلك بأن تحب أنبياء الله ورسله وعباده المؤمنين أينما كانوا وأن تبغض وتعادي أعداء الله من الكافرين والمنافقين أينما كانوا ولو كانوا أقرب الناس إليك نسبًا. قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [التوبة: ٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ

---

(١) رواه النسائي (٣/ ٦٢) برقم [١٣٠٤] وصححه الألباني في «صحيح الجامع» ص [١٣٠١].

(٢) «تهذيب المدارج» ص[٥٢٥].

﴿ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»[(١)].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

شرط المحبة أن توافق من ... تحب على محبته بلا عصيان
فإذا ادعيت له المحبة مع خلا ... فك لما يحب فأنت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدَّعي ... حبًا له ماذاك في الإمكان
وكذا تُعادي جاهدًا أحبابه ... أين المحبة يا أخا الشيطان

ثانيًا- السرور بالطاعات:

المحبون الصادقون تتجافى جنوبهم في الليل من المضاجع، ولا تكل جوارحهم في النهار من التقرب إلى ربها، بل إنها تجد نشاطًا وخفة إذا أقبلت على طاعة، ليس لديهم ذلك الثقل الذي يخذل النفوس عن طاعة الله كما وصف الله المنافقين بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢]، ذلكم هو وصف المنافقين والمحبون بالضد من ذلك تجد أنسهم وراحتهم وقرة عيونهم واستطابة عيشهم بطاعة ربهم كما قال سيدهم وإمامهم وقدوتهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[(٢)]، يقول ابن القيم: وكيف تقر عين المحب بسواها؟! ومن قرت عينه بصلاته في الدنيا قرت عينه بقربه من ربه عَزَّوَجَلَّ في الآخرة، وقرت عينه به أيضًا في الدنيا، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، فقرت عين المحب ولذته ونعيم روحه في طاعة محبوبه بخلاف المطيع كرهًا، المحتمل للخدمة ثقلا[(٣)].

---

(١) «كتاب الإيمان» (٥٤/ ٢) ص [٩٥].
(٢) رواه النسائي برقم [٣٩٣٩] وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٣١٢٤].
(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ١٠٢) ط. دار الكتاب العربي.

obeikandi.com

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذا كان السلف الصالح يتأسفون عند موتهم على انقطاع أعمالهم عنهم بالموت.

وبكى معاذ عند موته وقال: إنما أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

وبكى عبد الرحمن بن الأسود عند موته وقال: واأسفاه على الصوم والصلاة، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات.

وبكى يزيد الرقاشي عند موته وقال: أبكي على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار ثم بكى وقال: من يصلي لك يا يزيد بعدك؟ ومن يصوم ومن يتقرب لك بالأعمال الصالحة؟ ومن يتوب لك من الذنوب السالفة؟

وجزع بعضهم عند موته وقال: إنما أبكي على أن يصوم الصائمون لله ولست فيهم، ويصلي المصلون ولست فيهم ويذكر الذاكرون ولست فيهم فذلك الذي أبكاني

تحمل أصحابي ولم يجدوا وجدي ... وللناس أشجان ولي شجن وحدي

أحبكم مادمت حيًا فإن أمت ... فوا أسفا ممن يحبكم بعدي[1]

لذة المحب في طاعة ربه، وسرور قلبه، وسعادة روحه، حينما يكون مطيعًا لمولاه مقيمًا على ما يحبه منه ويرضاه، وقد قال ربنا في وصف الطائفة الموفقة من المتقين: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨].

ثالثًا- كثرة الذكر والشغف به:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، وعن أم

(١) «لطائف المعارف» [٤٤٦] ط. دار ابن رجب.

المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «**كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الله على كل أحيانه**»(١)، وقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «**ما أجلسكم؟**» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا، قال: «**آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟**» قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذلك قال: «**أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة**»(٢).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: كان بعض العارفين يقول: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف.

وقال آخر: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وماذاقوا أطيب ما فيها؟ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله ومعرفته وذكره. وقال آخر: إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربًا، وقال آخر: إنه لتمر بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم وهو قرة عين المحبين، وحياة العارفين، وإنما تقر عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عَزَّوَجَلَّ(٣).

رابعًا - الإيثار والبذل:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، المحب الصادق هو من يؤثر مراد الله على هواه، ويقدم أمر الله على أمر

---

(١) رواه مسلم برقم [٣٧٣].

(٢) رواه مسلم برقم [٢٧٠١].

(٣) «الوابل الصيب من الكلم الطيب» ص [٧٠] ط. الريان.

أي أحد من الخلق كما قال ربنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الحجرات: ١]، إن المحب لله جَلَّ وَعَلَا يقدم روحه ودمه ونفسه ويبذل كل ما يملك في مرضاة الله جَلَّ جَلَالُهُ كما كان حال المهاجرين الذين تركوا أوطانهم وأموالهم وديارهم التي ألفوها ولطالما عاشوا فيها، ومفارقتها تشق عليهم ولكن ما دام الخروج من كل ذلك فيه رضوان الله فنعم وقرة عين، قال الله تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾.

[الحشر: ٨]

والمحبون في الدنيا يتمادحون بمعنى موافقة الحبيب وإيثار مراده كقول من قال:

إن كان رضاكم في سهري فسلام الله على وسني

وقال غيره:

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد

وقال ثالث:

لو قلت لي مت مت سمعًا وطاعة وقلت لداعي الموت أهلًا ومرحبًا

فإذا كان هذا قول إنسان لمخلوق ناقص معيب هزيل فكيف يكون قول المحب الصادق والمؤمن الموقن لربه ذي الجلال والجمال والكمال؟! ولا والله لا محبة أصدق من محبة المؤمنين لربهم أرأيت كيف يبذلون أرواحهم ودماءهم وأموالهم جهادًا في سبيله وطلبًا لمرضاته، وهل يعرف مثل هذا عند أي أحد من الناس؟! لن تجد قومًا يحبون الموت في سبيل مرضاة من يحبون إلا عند المؤمنين الصادقين ولا تصدق تلك العبارات الجوفاء التي يرددها الفارغون التافهون بألسنتهم فإن أعذب حديثهم أكذبه ومحبة غير الله محبة للذات وحصول غرض النفس منها فنعوذ بالله من أن تحب قلوبنا أحدًا من الخلق كحبنا لربنا.

خامسًا- الغيرة لمحارم الله:

من دلائل المحبة ثوران القلب وغليانه إذا مُسَّت شعائر الله ومحارمه قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن يغار والله أشد غيرًا**»(١)، وفي الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فكلمه أسامة فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أتشفع في حدٍّ من حدود الله تعالى؟**» ثم قام فاختطب فقال: «**إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»(٢)، إن الغيرة دليل الإيمان وبرهان المحبة، والمحب لا يعرف تلك البلادة والبلاهة أمام انتهاك محارم الله، إن كثيرًا من الناس يرون بأعينهم المعاصي ترتكب وحقوق الله وحرماته تنتهك ثم يمرون عليها وهم عنها معرضون وكأن الأمر لا يعنيهم وكأنه لا نسب بينهم وبين هذا الرب العظيم الذي يُعصى وتخالف أوامره إن ذلك البرود والخرس دليل على ضعف المحبة في القلب ونذير خطر لصاحبها.

إذا كان قلبي لا يغار لدينه ... فما هو قلبي ولا أنا صاحبه

إن المحب غيور، وتكون غيرته بقدر حبه؛ ولذلك نرى ذلكم المحب يغير ما يراه من منكرات لأنه يعلم أن ذلك لا يرضي ربه وقد يكلفه إنكار ذلك المنكر شدائد وخسائر ولكن ما دام في الله فهو يسير لقد سمعت أمس أن أحد الإخوة المتقين نحسبه كذلك وجد حالة ارتكاب فاحشة فنهى عنها وزجر بأدب وحكمة وما كان من ذلكم المجرم الزاني إلا أن انهال عليه بسكين فطعنه ست طعنات حتى سقط على الأرض قتيلًا غارقًا في دمائه أقول: نحسبه عند الله شهيدًا، ونسأل الله أن يغفر له وأن يرحمه.

---

(١) رواه مسلم برقم [٢٧٦١].

(٢) رواه البخاري برقم [٣٤٧٥]، ومسلم برقم [١٦٨٨].

obeikandl.com

سادسًا- التأسف على ما فاته من الطاعة:

من علامات المحبة أن يتأسف المحب ويحزن على ما فاته من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ فإذا فاتته صلاة في جماعة تألم لذلك أشد الألم، وإذا فاته ورده من الذكر وقراءة القرآن وقيام الليل وجد لذلك ألمًا أعظم من ألم الحريص إذا سرق ماله، ومثال ذلك في حياة الصحابة الكرام ما قاله كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين تخلف عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوك يقول: فلم يزل يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم فياليتني فعلت[(١)]، وإذا فات المحب ورده من الطاعة تألم قلبه وتحسرت نفسه على ما فاته من خير ثم يبادر إلى قضائه في أقرب وقت وقد ورد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا فاته قيام ليل قضاه من النهار زوجًا كما في صحيح مسلم عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: **«كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة»**[(٢)].

وفي صحيح مسلم كذلك عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل»**[(٣)].

سابعًا- أربع علامات مهمة:

من علامات المحب لله أنه ذليل على المؤمنين، عزيز شديد على الكافرين، ثم هو يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، ولا يخاف في الله لومة من يلومه قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ ﴾ [المائدة: ٥٤]، فهم للمؤمنين أذلة، من محبتهم لهم،

(١) رواه البخاري برقم [٤٤١٨]، ومسلم برقم [٢٧٦٩].
(٢) رواه مسلم برقم [٧٤٦].
(٣) رواه مسلم برقم [٧٤٧].

obeikandl.com

ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم، ورحمتهم بهم، أعزة أشداء على الكافرين المكذبين لله ورسله، المعاندين لأمر الله جَلَّجَلَالُهُ كما قال الله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ١٧٩]، ومن محبتهم لربهم يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وأقوالهم وأفعالهم ويبذلون دماءهم وأرواحهم لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه ودحض الكفر وأهله ولا يخافون لومة لائم، بل يقدمون رضا ربهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين وهذا يدل على قوة هممهم وعزائمهم فإن ضعيف القلب ضعيف الهمة تنتقص عزيمته عند لوم اللائمين، وتفتر قوته عند عذل العاذلين، ومن كان كذلك فإن في قلبه تعبدًا لغير الله بحسب ما فيها من مراعاة الخلق، وتقديم رضاهم ولومهم على أمر الله فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله حتى لا يخاف في الله لومة لائم[(١)].

ومع يحبهم ويحبونه وقفة: عجيب أن يحبهم وهم مخلوقون وهو الذي خلق، ومرزوقون وهو الذي رزق، ويحبونه ليس بعجيب، فقد صورهم وهم أجنة، ثم أخرجهم من بطون أمهاتهم وله المنة، ثم هداهم بالكتاب والسنة، ويحبونه لأنه أعطاهم القلوب والأسماع والأبصار، وسخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار، وحماهم من الأخطار في القفار والبحار، ولو قال يحبهم وسكت لتوهم منهم الجفاء ولو قال يحبونه وسكت لقيل ليس لهم عنده احتفاء[(٢)].

روضة المحبين

إنها صفحات تتلألأ ضياء ونورًا، وتملأ القلب سعادة وسرورًا، وتقوده إلى سلوك سبيل الفائزين المفلحين، أولئك الذين حصلوا أكمل نعيم في الدنيا وكل منهم بحبسه، وإن لمحبة الله في القلب لذة تعجز عن بيانها العبارات، وتقصر وصفها الكلمات، إنها

(١) بتصرف واختصار من «تيسير الكريم الرحمن» ص [٢٤٨-٢٤٩].

(٢) «حدائق ذات بهجة» ص[٩٠] ط. دار ابن حزم.

obeikandi.com

مهما وصفت فهي أجل وأعظم وما يؤتاها إلا ذو حظ عظيم، وما يلقاها إلا الموقنون الصادقون، أولئك الذين يبذلون كل ما يملكون ابتغاء وجه ربهم وطلبًا لرضاه وقربه، وحرصًا على نيل حبه، والفوز في الآخرة بالجنة دار النعيم المقيم.

ونلمح في هذا الدرب الكريم وهذا الموكب المهيب العظيم خليل الرحمن إبراهيم حينما يلقى في النار فيرضى ويسلم إذا كان في ذلك رضا مولاه، وحينما يولد له بعد عمر طويل ولدٌ ثم يبلغ ولده معه السعي ثم يؤمر الأواه الحليم بأن يذبح ولده وبيده!! يا الله!! إنه موقف يدهش القلب سماعه؛ فكيف بتنفيذه والقيام به، ولكن إبراهيم الخليل لم يكن في قلبه إلا الحب الكامل لربه، فرضا الله أولى من هوى النفوس، وطاعة الله وامتثال أمره فوق محبة الولد ومشاعر الأبوة وآلام النفس فياالله! ياله من موقف ما أعجبه حين يستل إبراهيم سكينًا ويضجع ولده البار لكي يقوم بذبحه بيده، وليس في قلبه ذرة من تردد، أو شيء من اعتراض على هذا الأمر الإلهي بل استسلم الوالد والولد ولكي يشهد الخلق صورة صادقة من المحبة يقتدون بها في حياتهم، ويتركون في رضا الله رغبات نفوسهم فسلامٌ على إبراهيم ذلكم النبي الكريم الذي قدم مراد ربه على مراد نفسه وأظهر ذلكم الموقف حبًا خالصًا صادقًا لربه جَلَّجَلَالُهُ وإيثارًا لله على كل شيء.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أمر الخليل بذبح ولده وثمرة فؤاده، وفلذة كبده، لأنه لما سأله الولد فأعطيه فعلقت به شعبة من قلبه، والخلة منصب لا يقبل الشركة والقسمة، فغار الخليل على خليله أن يكون في قلبه موضع لغيره فأمره بذبح الولد ليخرج المزاحم من قلبه، فلما وطن نفسه على ذلك وعزم عليه عزمًا جازمًا حصل مقصود الأمر فلم يبق في إزهاق نفس الولد مصلحة، فحال بينه وبينه وفداه بالذبح العظيم وقيل له: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الصَّافَّاتِ: ١٠٥]، نجزي من بادر إلى طاعتنا فنقر عينه كما أقررنا عينك بامتثال أوامرنا

وإبقاء الولد وسلامته ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ وهو اختيار المحبوب لمحبه وامتحانه إياه ليؤثر مرضاته فيتم عليه نعمه فهو بلاء محنة ومنحة عليه معًا[1].

ونلمح بعد الخليل إبراهيم مشهدًا آخر من حياة موسى الكليم ذلك النبي الذي قال له ربه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، أي: حببتك إلى عبادي، وتربى بعين الله جَلَّ جَلَالُهُ[2]، ها هو يأتي إلى الموعد الذي وعده الله إياه ومعه السبعون من قومه جاء بهم إلى جبل الطور ولكنه سبقهم وسارع إلى ذلكم الجبل وتعجل في الذهاب إليه شوقًا للقاء ربه وابتغاء رضاه قال الله: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٣-٨٤]، أي: لتزداد عني رضا كما قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتأمل شوقه في أن يرى ربه جَلَّ جَلَالُهُ ولكن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أخبره أنه لا يُرى في دار الدنيا؛ لأن قوة البشر في الدنيا أضعف من أن تتحمل ذلك أما في الآخرة فذلك يكون أعظم نعيم في الجنة قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ثم تعال لنأخذ لمحة من حياة أكمل الخلق حبًا لربه وأعظم محب لله في تاريخ الدنيا كلها، إنه سيد الخلق، وإمام المرسلين رسول الله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلكم النبي الكريم الذي نال من كرامة الله ما لم ينله أحد من الخلق، وبذل في سبيل الله ما لم يبذله أحد. تأمل ثباته وصموده في وجه العالم كله مع صبره ويقينه حتى لانت له القلوب وأذعنت له النفوس ودخل الناس في دين الله أفواجًا وظل -صلوات الله عليه وسلامه- يدعو

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٢٨) ط. دار المنار.

(٢) «المصباح المنير» [٨٤٢].

إلى الله ويحبب الله إلى خلقه ويحبب الخلق إلى ربهم بدعوتهم للدخول في هذا الدين العظيم، وكم أوذي في الله، وكم لقى من كيد وعنت، ولما رأى فيه الناس صدق محبته لربه وصدق دعوته، وأدركوا عظمة رسالته، وشمولها لكل خير وهدى وصلاح مالت إليه القلوب، وسارعت في اتباعه الأمم والشعوب، وإذا تأملت تعبده لربه لم تر صورة في الناس أكمل وأصدق من عبودية المصطفى لله جَلَّجَلَالُهُ، تقول أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا**»[(١)]، تفطرت قدماه أي: تشققت كما قال النووي في شرح مسلم[(٢)]، وعند البخاري من حديث المغيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «**قام النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتى تورمت قدماه**»[(٣)]، ويقول ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ صليت مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليلة فأطال القيام حتى هممت بأمر سوء قيل: وما هممت به قال: هممت أن أجلس وأدعه[(٤)]، وفي الصيام كان يواصل في رمضان فلا يفطر أيامًا ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة كما يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: نهى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن الوصال قالوا: إنك تواصل؟ قال: «**إني لست كهيئتكم إني أبيت -وفي رواية إني أظل- عند ربي يطعمني ويسقيني**»[(٥)]، وفي هذا الطعام والشراب الذي يكون لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عند وصاله يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: المراد به ما يغذيه الله به من معارفه، وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته، وقرة عينه بقربه، وتنعمه بحبه، والشوق إليه، وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلوب

---

(١) رواه البخاري برقم [٤٨٣٧]، ومسلم برقم [٢٨٢٠].

(٢) «شرح مسلم للنووي» (٩/ ١٧٨).

(٣) رواه البخاري برقم [٤٨٣٦].

(٤) رواه البخاري برقم [١١٣٥]، ومسلم برقم [٧٧٣].

(٥) رواه البخاري برقم [١٩٦٢]، ومسلم برقم [١١٠٢].

ونعيم الأرواح، وقرة العين وبهجة النفوس والروح والقلب بما هو أعظم غذاء وأجوده وأنفعه، وقد يقوى هذا الغذاء حتى يغني عن غذاء الأجسام مدة من الزمان كما قيل:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها ... عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به ... ومن حديثك في أعقابها حادي
إذا شكت من كلال السير أوعدها ... روح القدوم فتحيا عند ميعاد

ومن له أدنى تجربة وشوق، يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيواني، ولاسيما المسرور الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قد قرت عينه بمحبوبه، وتنعَّم بقربه والرضا عنه، وألطاف محبوبه وهداياه وتحفه تصل إليه كل وقت، ومحبوبه حَفِيٌّ به، معتنٍ بأمره، مكرمٌ له غاية الإكرام مع المحبة التامة له، أفليس في هذا أعظم غذاء لهذا المحب؟! فكيف بالحبيب الذي لا شيء أجل منه ولا أعظم، ولا أجمل ولا أكمل، ولا أعظم إحسانًا إذا امتلأ قلب المحب بحبه، وملك حبه جميع أجزاء قلبه وجوارحه، وتمكن حبه منه أعظم تمكن، وهذا حاله مع حبيبه، أفليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويسقيه ليلًا ونهارًا؟! ولهذا قال: «**إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني**» ولو كان ذلك طعامًا وشرابًا للفم لما كان صائمًا فضلًا عن كونه مواصلًا، وأيضًا لو كان ذلك في الليل لم يكن مواصلا[1].

وإذا نظرت في حياة الصحابة الكرام وجدت صورة رائعة صادقة من صور الحب لله جَلَّجَلَالُهُ لم تعهد ولم تعرف في الدنيا من قبل ومن بعد، وتشهد في مواقف حياتهم برهانًا ساطعًا على عظمة هذا الحب وصدقه، تأمل كيف اختاروا الله على ما سواه وهجروا القريب والبعيد في الله وتجرعوا غصص الكيد والعداء في سبيل ربهم جَلَّجَلَالُهُ، وهاجروا تاركين أوطانهم وأموالهم لأن طاعة الله وإعلاء كلمته أحب إليهم من كل شيء، كم أوذي الصحابة في سبيل الله وما شيد صرح الإسلام الخالد إلا على أشلائهم، وما نبتت

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٣٢-٣٣) ط. الرسالة.

شجرة الإسلام الباسقة إلا بدمائهم الزاكية وتكفي في هذه الإطلالة مجرد الإشارة ولعل فيها تنبيهًا على ما سواها.

وها هو الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينفق كل ما يملك ويبذل كل ما يقدر عليه لله جَلَّ جَلَالُهُ ويأتي عمر الفاروق ليسابقه في شيء من ذلك ولو مرة ولكن الصديق كان هو السابق إلى الخير دائمًا؛ فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نتصدق ووافق ذلك عندي مالًا فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا قال: فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «**يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟**» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله قال: لا أسبقه إلى شيءٍ أبدًا[(١)].

ولما نزل بمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الموت كان كلما أفاق من غمرة قال: اخنق خنقك فوعزتك إنك لتعلم أني أحبك.

وفي الزهد للإمام أحمد لما حضره- أي معاذ- الموت قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحبًا بالموت مرحبًا، زائر مغيب، حبيب جاء على فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إن كنت تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر[(٢)].

وكان حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يطوف بالبيت ويقول: لا إله إلا الله نعم الرب ونعم الإله، أحبه وأخشاه[(٣)].

---

(١) رواه أبو داود برقم [١٦٧٨]، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود برقم [١٤٧٢].

(٢) «الزهد» ص [١٨٠-١٨١].

(٣) «استنشاق نسيم الأنس» للحافظ ابن رجب، ط. المكتب الإسلامي.

obeikandl.com

ويقول مطرف بن عبد الله: أتيت عمران بن حصين يومًا فقلت له: إني لأدع إتيانك لما أراك فيه ولما أراك تلقى[١]، قال: فلا تفعل فوالله إن أحبه إليَّ أحبه إلى الله[٢].

وهذا خبيب بن عدي حينما يُخرج من مكة ليقتل خارج حدود الحرم يلقى كلمات إيمانية صادقة من قلب عاش الحب لله ورضي ببذل النفس لدينه، خرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال: دعوني أصلي ركعتين ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزع الموت لزدت. فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو ثم قال: اللهم أحصهم عددًا، ثم قال:

ما أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أيِّ شق كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله[٣].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما طعن حرام بن ملحان -وكان خاله- يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه ثم قال: فُزتُ ورب الكعبة[٤]، وهذا المشهد العجيب جعل قاتله يُسلم ويدخل في دين الله وذلك لأنه رأى شيئًا لم يره في حياته من قبل حينما يقتل رجلًا فيفرح بالقتل ويبين أنه قد فاز بذلك يقول قاتله وهو جبار بن سلمى: إن مما دعاني للإسلام أني طعنت رجلًا منهم يومئذ برمح بين كتفيه، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره فسمعته يقول: فزت ورب الكعبة فقلت في نفسي: ما

---

(١) كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد مرض قرابة الثلاثين عامًا لا يقوم ولا يقعد.

(٢) «الرضا عن الله» ص [٩٢-٩٣].

(٣) رواه البخاري برقم [٤٠٨٦].

(٤) رواه البخاري برقم [٤٠٩٢].

فاز ألست قد قتلت الرجل؟ حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا: للشهادة فقلت فاز لعمر الله[١].

كان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: أحب الموت اشتياقًا إلى ربي، وأحب الفقر تواضعًا لربي، وأحب المرض تكفيرًا لخطيئتي.

وهذا صاحبي تغلبه نفسه على فعل معصية ويتكرر وقوعه فيها ويقام عليه الحد فيها ولكن قلبه عامر بحب الله ورسوله ويشهد له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك روى البخاري عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا كان على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمارًا، وكان يُضْحِكُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا فأمر به فجلد فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تلعنوه؛ فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله**»[٢]، أي: الذي علمته أنه يحب الله ورسوله، الله أكبر! والله ما أحوج العصاة في عصرنا إلى مثل هذا الدرس! إن كثيرًا منهم حينما يقع في المعاصي يسقط فيها سقوطًا عجيبًا ويترك الصلاة ويتخلى عن كثير من شعائر الإسلام! فما المانع أن يحافظ على الصلاة وإن غلبته نفسه على المعصية؟! ما المانع أن يمتلئ قلبه بحب الله ورسوله وأن يغار لدينه ولو كان واقعًا في المعاصي؟!

ومن أقوال وأحوال المحبين الصالحين من بعد الصحابة ما يلي: كان مسلم بن يسار يقول: ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عَزَّوَجَلَّ، عجبت للخليقة كيف أنست بسواك، بل عجبت للخليقة كيف استنار قلوبهم بذكر سواك؟!

قال ذو النون المصري: إذا سكن حب الله القلب أنس بالله؛ لأن الله أجل في صدور المؤمنين من أن يحبوا سواه.

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٢٠٧).

(٢) رواه البخاري برقم [٦٧٨٠].

قال أبو سليمان الداراني: من كان اليوم مشغولًا بنفسه فهو غدًا مشغول بنفسه، ومن كان اليوم مشغولًا بربه فهو غدًا مشغول بربه.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: معرفتي بك دليلي عليك، وحبي لك شفيعي إليك.

وقال: ليس بصادق من ادعى حبه ولم يحفظ حده.

وقال: على قدر حبك لله يحبك الخلق، وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق، وعلى قدر شغلك بالله يشتغل في أمرك الخلق.

وكان يقول: يا أكرم الأشياء علينا لا تجعلنا أهون الأشياء عليك.

قال فتح الموصلي: لم تترك المحبة لله في قلوب أوليائه موضعًا لمحبة غيره.

قال سليم النحيف رمقت عتبة الغلام ذات ليلة فما زاد ليلته على تلك الكلمات: إن تعذبني فإني لك محب؛ وإن لم ترحمني فإني لك محب فلم يزل يرددها ويبكي حتى طلع الفجر.

قال بعضهم:

ما عنك يشغلني مالٌ ولا ولد ... نسيت باسمك ذكر المال والولد

لو سفك دمي في التراب لانكتبت ... به حروفك لم تنقص ولم تزد

أي أخي، من لم يدخل جنة الحب لن ينال القرب، بالحب عبد الرب، وترك الذنب، وهان الخطب، واحتمل الكرب، وسهل العسير، وقدمت الأرواح قربانًا، وبذلت النفوس برهانًا على أن الله أحب إليها من كل شيء، حيث تشهد الدماء والأشلاء، والأموال التي تُنفق في سبيل الله أن دين الله أحب إلى المرء من نفسه ومن أهله وولده، وحب الله قبل كل حب، ومنه تنبع جميع المحاب هذا وإلا:

إليك عني إليك عني ... فلست منك ولست مني

obeikandl.com

من ادعى قولًا فلابد من برهان ودليل، وحب الله وتوحيده أكبر الحقائق ولابد من مناسبة بين الحقيقة والبرهان:

إذا كان حب الهائمين من الورى ... بليلى وسلمى يسلب اللب والعقلا
فماذا عسى أن يصنع الهائم الذي ... سرى قلبه شوقًا إلى العالم الأعلى

ولله دَرُّ من قال:

والله ما نظرت عيني لغيركم ... يا واهب الحب والأشواق والمهج
كل الذين رووا في الحب ملحمة ... في آخر الصف أوفى أسفل الدَّرجِ

ولله در من قال:

كل محبوب سوى الله سرفْ ... وهموم وغموم وأسف
كل محبوب فلي منه خلف ... ما خلا الرحمن ما منه خلف
إن للحب علامات إذا ... ظهرت من صاحب الحب عرفْ

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفوائد:

إذا أحب الله عبدًا اصطنعه لنفسه واجتباه لمحبته واستخلصه لعبادته فشغل همه به ولسانه بذكره، وجوارحه بخدمته[(١)].

قال أبو علي المقدسي: لما حضرت آدم بن أبي إياس الوفاة ختم القرآن وهو مسجَّى ثم قال: بحبي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع كنت آملك لهذا اليوم، وكنت أرجوك ثم قال لا إله إلا الله ثم قضى نحبه[(٢)].

لو تغذى القلب بالمحبة لذهبت عن بطنه الشهوات، ولو كنت عذريَّ الصبابة لم تكن بطينًا وأنساك الهوى كثرة الأكل، لو صحت محبتك لاستوحشت ممن لا يذكرك

(١) «الفوائد» ص [٢٥٨].
(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٥٠٤) ط. دار المعرفة.

بالحبيب، واعجبًا لمن يدعي المحبة ويحتاج إلى من يذكره بمحبوبه فلا يذكره إلا بمذكر، أقل ما في المحبة أنها لا تنسيك تذكر المحبوب.

ذكرتك لا أني نسيتك ساعة وأيسر ما في الذكر ذكر لساني

إذا سافر المحب للقاء محبوبه ركبت جنوده معه، فكان الحب في مقدمة العسكر والرجاء يحدو بالمطي والشوق يسوقها والخوف يجمعها على الطريق، فإذا شارف قدوم بلد الوصل خرجت تقادم الحبيب باللقاء.

فدوا سقمًا بجسم أنت متلفه وأبرد غرامًا بقلب أنت مضرمه

ولا تكلني على بعد الديار إلى صبري الضعيف فصبري أنت تعلمه

تلق قلبي فقد أرسلته عجلا إلى لقائك والأشواق تقدمه

فإذا دخل على الحبيب أفيضت عليه الخلع من كل ناحية ليمتحن أيسكن إليها فتكون حظه أم يكون حظه إلى من ألبسه إياها.

ملأوا مراكب القلوب متاعًا لا تنفق إلا على الملك فلما هبت رياح السحر أقلعت تلك المراكب فما طلع الفجر إلا وهي بالمينا.

فرغ القوم قلوبهم من الشواغل فضربت فيها سرادقات المحبة فأقاموا العيون تحرس تارة وترش أخرى، سرادق المحبة لا يضرب إلا في قاعٍ نزهٍ فارغ.

نزه فؤادك عن سوانا والقنا فجنابُنا حِلٌّ لكل منزه

الصبر طَلْسَمٌ لكنز وصالنا من حَلَّ ذا الطلسم فاز بكنزه

اعرف قدر ما ضاع منك، وابك بكاء من يدري مقدار الفائت، لو تخيلت قرب الأحباب لأقمت المأتم على بعدك، لو استنشقت ريح الأسحار لأفاق منك قلبك المخمور[1].

(١) «الفوائد» ص [٩٦-٩٧] ط. دار إحياء الكتب العربية.

لهذا أحب ربي

إن الفطر النقية، والعقول السوية، والقلوب الحية لتنطق بصدق الحب والعبودية لله جَلَّ جَلَالُهُ، فالإحسان كل الإحسان والفضل كل الفضل والإنعام كل الإنعام والرحمة كل الرحمة، والنعمة كل النعمة، من الله وحده لا يملك ذلك سواه ولذلك أحب ربي.

من ذا الذي خلقني ورزقني؟! من ذا الذي عافاني وهداني؟! من ذا الذي إذا مرضت ودعوته شفاني؟! من ذا الذي إذا دعوته أجابني وأعطاني؟! هل غير الله يخلق ويرزق، ويحيي ويميت ويعز ويذل؟! هل غير الله ينعم ويرحم ويهدي؟!

أحب ربي؛ لأنه واحد في ذاته وصفاته لا ند له ولا شريك، أحب ربي لأنه متصف بكل كمال وجمال وجلال ليس له كفء أو شبيه أو مثال، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

أحب ربي الذي أنزل إلينا أفضل كتبه وأقومها وأبقاها؛ ليكون حياة قلوبنا ونور دروبنا، وزيادة إيماننا، وشفاء أدوائنا، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

أحب ربي لأنه أرسل إلينا خير رسله وخاتم أنبيائه؛ ليكون لنا قدوة وإمامًا نقتدي به في عبادتنا لربنا ونتخلق بأخلاقه وآدابه فيما بيننا، لنكون يوم القيامة تحت لوائه.

أحب ربي أن هداني للإسلام وجعله لي دينًا، ذلكم الدين العظيم الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه قال الله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

أحب ربي أن حبب إليَّ الإيمان وكره إليَّ الكفر والفسوق والعصيان، وجعلني من خير أمة أخرجت للناس.

أحب ربي الذي أنعم عليَّ بنعم لا أحصيها ولا أملك عدها ولا أقوم بشكرها، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، ألم أكن صغيرًا فرباني؟! ألم أكن فقيرًا فأغناني؟! ألم أكن مريضًا فشفاني؟! ألم أكن ضالًا فهداني؟! ألم أكن جاهلًا فعلمني؟! ألم أكن غافلًا تائهًا لاهيًا فأرشدني؟!

إذا نظرت إلى العميان عرفت قدر ما أنعم عليَّ من نعمة البصر، وإذا نظرت إلى الصم البكم عرفت نعمة السمع والكلام، وإذا رأيت المشردين المحرومين عرفت نعمة الإيواء والسكن والأمان، وإذا أبصرت المرضى الذين يئنون من الآلام ولا يكتحلون بنوم عرفت نعمة العافية، إذا رأيت عقيمًا عرفت نعمة الولد، وإذا رأيت مسجونًا أسيرًا عرفت نعمة الحرية، إذا رأيت مجنونًا عرفت نعمة العقل، وإذا رأيت مفتونًا مفضوحًا عرفت نعمة الستر، إذا نظرت إلى نعم ربي عليَّ عظم حيائي منه وحبي له، ومن لي سواه؟! وهل لي رب غيره أقصده وأعبده؟!

فيارب أنا بك وإليك، ها أنا ذليل بين يديك، متضرع بالدعاء لك، أسألك أن تملأ قلبي بحبك وأن تميتني على طاعتك، فلا مقصد لي في الحياة إلا رضاك، ولا مراد لي من الدنيا إلا عبادتك وطاعتك فارزقني إخلاص النية وإصلاح الطوية فإن الموفق الرابح من أحببته، الملك ملكك، والحكم حكمك، ولا يكون شيء في الكون إلا بإذنك ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن سبحانك وبحمدك.

يارب:

أنت الذي صورتني وخلقتني ... وهديتني لشرائع الإيمان

أنت الذي علمتني ورحمتني ... وجعلت صدري واعي القرآن

أنت الذي أطعمتني وسقيتني ... من غير كسب يدٍ ولا دكان

وجبرتني وسترتني ونصرتني ... وغمرتني بالفضل والإحسان
أنت الذي آويتني وحبوتني ... وهديتني من حيرة الخذلان
فلك المحامد والمدائح كلها ... بخواطري وجوارحي ولسان

سبحان ربي كم أعطى من النعم، وكم دفع من النقم، وكم من أمرٍ عسير يسره، وكم من هم كشفه، وكم من كرب أزاله، فمن توكل عليه كفاه، ومن تحبب إليه أحبه وتولاه، ومن اعتصم به نجاه؛ فاصدق في اللجوء إليه يحفظك ويعافيك ويصطفيك، كن له يكن لك، تقرب إليه يتقرب إليك، ولا تكن من الغافلين.

ياغافلًا عن إله الكون يالاهي ... تعيش عمرك كالحيران كالساهي
ارجع إلى الله واقصد بابه كرمًا ... والله والله لا تلقى سوى الله

العقل السليم يدعو إلى محبة الرب العظيم

الإنسان أسير الإحسان، يحب بطبعه من أحسن إليه، ولا أحد أعظم إحسانًا إلى العبد من الله جَلَّجَلَالُهُ، ولو حكَّم المرء عقله لوجده يقوده إلى محبة خالقه وفاطره وربه ومولاه، الرب العظيم الملك الكريم جَلَّوَعَلَا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العقول تحكم بوجوب تقديم محبة الله على محبة النفس والأهل والمال والولد وكل ما سواه، وكل من لم يحكم عقله بهذا فلا تعبأ بعقله؛ فإن العقل والفطرة والشرعة والاعتبار والنظر تدعو كلها إلى محبته سبحانه، بل إلى توحيده في المحبة وإنما جاءت الرسل بتقرير ما في الفطر والعقول كما قيل:

هب الرسل لم تأت من عنده ... ولا أخبرت عن جمال الحبيب
أليس من الواجب المستحق ... محبته في اللقا والمغيب
فمن لم يكن عقله آمرًا ... بذا ماله في الحجى من نصيب
وإن العقول لتدعو إلى ... محبة فاطرها من قريب
أليست على ذلك مجبولة ... ومفطرة لا بكسب غريب
أليس الجمال حبيب القلوب ... لذات الجمال وذات القلوب[1]

(١) «تهذيب المدارج» ص [٥١٨].

obeikandl.com

المحبة روح العبودية كلها

العبادات كلها والطاعات جميعها إنما تنبع من الحب، وتنبني على المحبة، وبقدر الحب يكون التقرب إلى الله ويكون الإتقان والإجادة، والإخلاص في كل عبادة، وأصدق العبادة وأخلصها عبادة المحبين، والحامل على القربات والإكثار منها هو الحب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المحبة حقيقة العبودية، وهل تمكن الإنابة بدون المحبة والرضا والحمد والشكر والخوف والرجاء؟ وهل الصبر في الحقيقة إلا صبر المحبين؟! وكذلك الزهد في الحقيقة هو زهد المحبين؛ فإنهم يزهدون في محبة ما سوى محبوبهم لمحبته.

وكذلك الحياء في الحقيقة؛ إنما هو حياء المحبين؛ فإنه يتولد من بين الحب والتعظيم، وأما ما لا يكون عن محبة فذلك خوف محض.

وكذلك مقام الفقر؛ فإنه في الحقيقة فقر الأرواح إلى محبوبها وهو أعلى أنواع الفقر فإنه لا فقر أتم من فقر القلب إلى من يحبه لاسيما إذا وحده في الحب، ولم يجد منه عوضًا سواه.

وكذلك الغنى هو غنى القلب بحصول محبوبه، وكذلك الشوق إلى الله تعالى ولقائه فإنه لب المحبة وسرها[1].

قلت: وكذلك الخشوع في الصلاة لا يكون في الغالب إلا من محب، والجود في الإنفاق، وبذل النفس والروح في مقام الجهاد، والرجاء والطمع في سعة رحمة الله، وحضور القلب وخشوعه في الذكر والتلاوة، والمصابرة على تعلم العلم وتعليمه، ومعاملة الخلق بالخلق الكريم، والدعوة ونشر الخير بين الناس كل ذلك لا يكون إلا من محب، فبالحب يبذل، وبالحب

(١) المصدر السابق ص [٥١٩] باختصار يسير.

obeikandi.com

يتحمل، وبالحب ينسى إرهاق البدن، وبالحب يزداد كل يوم من الله قربًا، فاللهم اجعلنا من أحب خلقك إليك، وارزقنا صدق الحب لك ولرسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فيا معرضًا عن الله إلى من أعرضت؟! ويا مشغولًا عنه بمن تعوضت؟! اجلس على مائدة السحر، واقرع باب الملك بذلٍّ وافتقار، وذق طعم المناجاة في تلك الساعة تنسيك كل لذة، اللهم ربنا نسألك من فضلك العظيم، خذ بنواصينا إلى ما يرضيك عنا، واهد قلوبنا إلى ما يقربنا إليك، ويزيدنا لك حبًا، واجعلنا ممن أحببتهم وأخلصتهم إنك أنت الودود الكريم.

وسائل المحبة

محبة الله من الإيمان تزيد بزيادته وتنقص بنقصانه، ولمن أراد زيادة هذه المحبة لابد أن ينظف قلبه وأن يطهره ابتداء من كل آفة تناقض أمر الله وحكمه، لابد أن يحدث توبة صادقة من كل ذنب وإثم وأن يديم الاستغفار والدعاء والتضرع بأن يطهر الله قلبه وأن يرزقه الاستقامة على الطاعة ومن الوسائل الجالبة للمحبة ما يلي:

أولًا - مطالعة المنن واتباع السنن:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وهي محبة تنبت من مطالعة المنة وتثبت باتباع السنة، أي: أنها تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه ونعمه الباطنة والظاهرة، فبقدر مطالعته ذلك تكون قوة المحبة، فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، وليس للعبد قط إحسان إلا من الله، ولا إساءة إلا من الشيطان.

ومن أعظم منة الله على عبده تأهيله لمحبته ومعرفته وإرادة وجهه ومتابعة حبيبه، وأصل هذا نور يقذفه الله في قلب العبد، فإذا دار ذلك النور في قلب العبد وذاته أشرقت ذاته فرأى فيه نفسه وما أهلت له من الكمالات والمحاسن، فعلت به همته وقويت عزيمته، وانقشعت عنه ظلمات نفسه وطبعه؛ لأن النور والظلمة لا يجتمعان إلا ويطرد أحدهما صاحبه، فرقيت الروح حينئذٍ بين الهيبة والأنس إلى الحبيب الأول.

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدًا لأول منزل

وهذا النور كالشمس في قلوب المقربين السابقين، وكالبدر في قلوب الأبرار أصحاب اليمين، وكالنجم في قلوب عامة المؤمنين، وتفاوتهم فيه كتفاوت ما بين الزهرة والسهى، ورسوخ هذه المحبة وثباتها في القلب؛ إنما يكون بمتابعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أعماله وأقواله وأخلاقه، فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها، وبحسب نقصانه يكون نقصانها، كما تقدم أن هذا الاتباع يوجب المحبة والمحبوبية معًا ولا يتم الأمر إلا بهما، فليس الشأن في أن تحب الله، بل الشأن في أن يحبك الله، ولا يحبك إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرًا وباطنًا، وصدقته خبرًا، وأطعته أمرًا، وأجبته دعوة، وآثرته طوعًا، وفنيت عن حكم غيره بحكمه، وعن محبة غيره من الخلق بمحبته وعن طاعة غيره بطاعته، وإن لم يكن ذلك فلا تتعن، وارجع من حيث شئت فالتمس نورًا فلست على شيء[1].

ثانيًا- التخلي عن الصفات التي يكرهها الله:

من الأسباب الجالبة لمحبة الله جَلَّ جَلَالُهُ أن يتخلى العبد وأن يبتعد عن الأوصاف الذميمة التي لا يحب الله أهلها ومنها الظلم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]. والكبر والعجب لا يحب الله أهله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]. وكذلك لا يحب الله أهل الفساد الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]. وكذلك لا يحب الله أهل الإسراف قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]. وكذلك الله تعالى لا يحب أهل الاعتداء وأهل الخيانة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٣٣-٢٣٤) ط. دار المنار.

وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٧]. وقال جل ذكره: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨]. وكذلك يكره الله أهل البطر والكبر والفخر والخيلاء قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣]. وكذلك يكره الله أهل الثرثرة وكثرة السؤال وإضاعة المال كما في الصحيحين أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله كره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»(١).

وكذلك يكره الله العبد الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام كما روى الترمذي من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما من شيءٍ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإن الله يبغض الفاحش البذي**»(٢)، ويبغض الله كل غفول جهول عالم بالدنيا جاهل بالآخرة، لاهٍ عنها قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله يبغض كل جعظري جواظ سخاب في الأسواق، جيفة بالليل حمار بالنهار، عالم بالدنيا جاهل بالآخرة**»(٣)، إلى غير ذلك من الأعمال والأحوال والخصال التي ورد الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن الله تعالى لا يحب من اتصف بها وكان من أهلها، فالمحب لربه لا ينبغي أبدًا أن يكون فيه وصف من تلك الأوصاف أو صفة من تلك الصفات؛ لأن حقيقة الحب أن يحب ما يحبه ربه وأن يبغض ما يبغضه الله، فيقدم مراد ربه ومولاه وما يحبه الله ويرضاه وإن خالف مراد نفسه وهواه تلك حقيقة الحب أن يكون ما يحب الله أحب إليك مما تحب، وكن منتهيًا عن المعاصي والسيئات، حريصًا على نشر الخير ومحق الشر، رحيمًا بالخلق حريصًا على هدايتهم منشغلًا في كل لحظة وَنَفس بما يرضي ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) رواه البخاري برقم [١٧٤٤]، ومسلم برقم [٥٩٣].

(٢) رواه الترمذي برقم [٢٠٠٢]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٥٧٢٦].

(٣) رواه البيهقي في «السنن» (١٠/ ١٩٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٨٧٨].

دع أولئك السفهاء الذين يبكون على الأطلال، ويتغزلون في النساء ويصفون الخدود والقدود، وقد أعماهم ذلك السفه عن الحب الحقيقي، وقد أضلهم إبليس وجنوده عن أنبل الحب وأبقاه، وأطهره وأخلصه وأصفاه.

دعهم يغنون ويرقصون، ويغفلون ويعمهون، ويضلون ويتيهون فسوف يعلمون، وسوف يندمون على ضياع أعمارهم فيما لا ينفع ولا يفيد، وسوف يتحسرون على أيام خلت في غفلة وعمى إن ما هم فيه ليس إلا باطل وزور، ولو عقلوا لكان كل حبهم لربهم ولما أحبه الله جَلَّجَلَالُهُ ففرغ القلب من كل محبته واجعل كل حبك لربك وحده، ولتكون كل المحاب تابعة ونابعة من محبة الله جَلَّجَلَالُهُ، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تدخل محبة الله في قلب فيه حب الدنيا إلا كما يدخل الجمل في سم الإبرة[١].

فلله در أقوام أقاموا حياتهم بحب ربهم، وعليها عاشوا، وبها بين الناس تحركوا، إن نطقوا فبذكر الله، وإن تحركوا فبأمره، وإن سهروا فلقربه، فرغوا قلوبهم من الشواغل وجعلوا كل شغلها قربات إلى ربهم بها يتقربون، وأعمال صالحات هم بها يتزلفون وعليها يحافظون، وإلى ربهم بها يتحببون، فاللهم اجعلنا من أهل قربك وطاعتك وحبك.

تَاه لُبِّي وذاب قلبي لربي ... فهو حبي وسلوتي في حياتي
وله كل ذرة في كياني ... ومماتي ومنسكي وصلاتي
يا إلهي هذه ترانيم حُبٍّ ... من فيوض المشاعر الخاشعات
يا أنسي وعدتي واعتمادي ... وملاذي في ظلمة النائبات
وسروري وبهجتي ورجائي ... وضيائي في مدلج الكائنات
هذه لوعتي وهذي دموعي ... واشتياقي وقصتي وشكاتي

(١) «الفوائد» ص [١٢٠].

ثالثًا- التحلي بالأوصاف التي يحبها الله:

من أهم ما يستجلب حب الله لعبده أن يتصف العبد بالأمور والأحوال التي يحبها الله ويرضاها، وإذا حقق العبد هذه الأوصاف كان أهلًا لمحبة الله بقدر تحقيقه لها واتصافه بها والموفق من وفقه الله.

ومن هذه الأحوال والأعمال والأخلاق والأقوال التي يحب الله أهلها ما يلي:

أهل التقوى الذين صارت التقوى صفة ثابتة لهم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٧]، وأهل الصبر الذين يصبرون ابتغاء وجه ربهم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦]، وكذلك المحسنون الذي يعبدون ربهم كأنهم يرونه أو كأن الله يراهم يحبهم ربهم قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وكذلك التوابون الذين يكثرون من التوبة والإنابة والرجوع إلى ربهم ويكثرون من الأوبة إليه جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، التوابون أي من ذنوبهم على الدوام، وقال تعالى: ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ أي: المتنزهين عن الآثام، وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث ففيه مشروعية الطهارة مطلقًا؛ لأن الله تعالى يحب المتصف بها، ويشمل التطهر مطلقًا لأن الله تعالى يحب المتصف به، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة والصفات القبيحة والأفعال الخسيسة[1]، كذلك يحب ربنا من يجاهدون في سبيله ويدافعون عن دينه ويبذلون أرواحهم فداء لعقيدتهم ودينهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤]، وكذلك يحب الله أهل العدل الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ص [١٠٠].

ومن أحق الناس بحب الله له من اتبع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقتدى به في هديه الذي هو أكمل الهدي وخيره وأتمه قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

ويحب الله من العبد أن يكون حليمًا ذا أناة قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأشج عبد القيس: «**إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة**»(١)، ويحب الله من العبد أن يظهر أثر نعمة الله عليه قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»(٢)، كذلك فإن الله تعالى يحب من العبد أن يكون تقيًا غنيًا خفيًا قال سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**»(٣)، والغني هو غني النفس، ويحب الله العبد المحافظ على الصلاة في أول وقتها، والبار بوالديه، والمجاهد في سبيل الله كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيُّ العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**بر الوالدين**» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(٤).

ويحب الله العبد المستقيم على الطاعة المحافظ عليها المديم لها حتى وإن كانت قليلة كما في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي: الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «**أدومها وإن قل**»(٥).

وكذلك فإن المتحابين في الله أهل لحب الله لهم فمن أحب أخاه في الله كان من أعظم الثواب على ذلك أن يحبه الله جَلَّ جَلَالُهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله تعالى:**

---

(١) رواه مسلم برقم [١٧].
(٢) رواه الترمذي برقم [٢٨١٩]، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [١٨٨٧].
(٣) رواه مسلم برقم [٢٩٦٥].
(٤) رواه البخاري برقم [٥٢٧]، ومسلم برقم [٨٥].
(٥) رواه البخاري برقم [٤٣]، ومسلم برقم [٧٨٢].

وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ»[(١)]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **أن رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكًا فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية قال: هل لك عليه من نعمة تربها عليه؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله تعالى قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»**[(٢)]، أرصده: أي أقعده يرقبه، والمدرجة هي الطريق، ومعنى تربها أي: تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك[(٣)].

كذلك فإن الله يحب المؤمن القوي في إيمانه قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»[(٤)]، كذلك يحب الله العبد المتصف بالرفق في أمره قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**»[(٥)]، إلى غير ذلك من الخصال النبيلة والصفات الحميدة، والأعمال الصالحة التي يحبها الله ويحب أهلها، والشاهد أن من اتصف بهذه الصفات وحرص عليها كان أهلًا لحب الله له.

رابعًا- الأسباب العشرة الجالبة للمحبة:

ذكر الإمام ابن القيم عشرة أسباب توجب وتجلب محبة الله عَزَّوَجَلَّ، ولأنه قد تقدم شرحها في غير هذا الكتاب نكتفي بسردها هنا.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٣٣)، ومالك (٢/ ٧٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٤٣٣١].
(٢) رواه مسلم برقم [٢٥٦٧].
(٣) «شرح النووي على مسلم» (٨/ ٣٦٧).
(٤) رواه مسلم برقم [٢٦٦٤].
(٥) رواه مسلم برقم [٢٥٩٣].

obeikandl.com

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]:

أحدها- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

الثاني- التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث- دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع- إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسنم إلى محابه وإن صعب المرتقى.

الخامس- مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.

السادس- مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة؛ فإنها داعية إلى محبته.

السابع- وهو من أعجبها انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن- الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع- مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما تنتقى أطايب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك، ومنفعة لغيرك.

---

(١) في النية إفراد رسالة في شرح هذه الأسباب إن شاء الله تعالى.

obeikandl.com

العاشر- مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عَزَّوَجَلَّ.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة وبالله التوفيق[١].

كلمات مصطفاة في محبة الله جل جلاله:

- لو صحت محبتك لاستوحشت ممن لا يذكرك بالحبيب.

- واجبًا لمن يدعي المحبة ويحتاج إلى من يذكره بمحبوبه، فلا يذكره إلا بمذكر، أقل ما في المحبة أنها لا تنسيك تذكر المحبوب.

- لو تغذى القلب بالمحبة لذهبت عن بطنه الشهوات.

- لو استنشقت ريح الأسحار لأفاق منك قلبك المخمور[٢].

- ما عند المحبين ألذ من أوقات الخلوة بمناجاة محبوبهم، هو شفاء قلوبهم، ونهاية مطلوبهم. كان داود الطائي يقول في الليل: همك عطل عليَّ الهموم، وحال بيني وبين السُّهاد، وشوقي إليك أوثق مني اللذات[٣].

سئل ذو النون المصري: متى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما يكرهه أمرَّ عندك من الصبر. وقال غيره: ليس من أعلام المحبة أن تحب ما يكرهه حبيبك.

عذابه فيك عذبُ ... وبعده فيك قربُ

وأنت عندي كروحي ... بل أنت منها أحبُّ

حبي من الحب أني ... لما تحب أحبُّ[٤]

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٧-١٨) ط. دار الكتاب العربي، «تهذيب المدارج» ص [٥١٣].

(٢) «الفوائد بانتقاء» ص [٩٦-٩٧].

(٣) «لطائف المعارف» ص [٧٢].

(٤) المصدر السابق [٢٣٦-٢٣٧].

obeikandl.com

سبحان من سبقت محبته لأحبابه، فمدحهم على ما وهب لهم، واشترى منهم ما أعطاهم، وقدم المتأخر من أوصافهم لموضع إيثارهم، فباهى بهم في صومهم، وأحب خلوف أفواههم، فيالها من حالة مصونة لا يقدر عليها كل طالب، ولا يبلغ كنه وصفها كل خاطب[1].

أي أخي، الحب تضحية وبذل وعمل، الحب تقرب بالطاعة، وتعب في مرضاة الله، الحب استعذاب العذاب في الله، الحب تلذذ بالسهر والسعي في الطاعة، فاللهم اجعلنا من عبادك المحبين لك المتقربين لك الصادقين في محبتك، واجعلنا ممن أحببتهم واصطفيتهم إنك أنت الرحيم الودود، اللهم أنت ثقتنا في كل أمر، ورجاؤنا في كل شدة، وأنت وليُّ كل نعمة، وواهب كل خير وحسنة فاختم لنا حياتنا بحبك، وتوفنا وأنت راضٍ عنا يارب.

❁ ❁ ❁

(١) «صيد الخاطر» ص [١٥].

obeikandl.com